سكت فغر أعدائي السكوت

خرج عن قومه غضبان، فنزل على بني عامر وأقام فيهم زماناً، فأغارت هوازن وجشم على ديار عبس. وكان على هوازن يومئذٍ دريد بن الصمة، فأرسل قيس بن زهير، وكان سيد عبس، يستنجد عنترة، فأبى وامتنع، ولما عظم الخطب على بني عبس خرجت إليه جماعة من نساء القبيلة من جملتهن الجمانة بنت قيس، فلما قدمن عليه طلبن منه أن ينهض معهن لمقاومة العدو وإلا انقطعت العشيرة وتشتت شملها، فاحتمس ونهض من وقته طالباً ديار قومه:

[الوافر]

سَكَتُّ فَغَرَّ أَعْدائي السُّكُوتُ،
وظَنّوني لأَهْلي قَدْ نَسِيتُ[١]
وَكَيْفَ أَنَامُ عَنْ سَاداتِ قَوْمٍ
أنا في فَضْلِ نِعْمَتِهِمْ رَبيتُ؟[٢]
وَإِنْ دَارَتْ بهِمْ خَيْلُ الأعادي،
وَنادَوني أَجَبْتُ مَتى دُعِيتُ[٣]
بِسَيْفٍ حَدُّهُ يُزْجي المَنَايا،
وَرُمْحٍ صَدْرُهُ الحَتْفُ المُمِيتُ[٤]

(١) إنها الفرص تواتي البشر مرة واحدة؛ انتهزت قبيلتا هوازن وجُشم وهما تعلمان أن عنترة معتكف عن الحرب، ولن ينهض ليحامي عن عشيرته، فانتهزتا الفرصة، وكانت الغرّة ظنًّا منهما أن عنترة لن يُبدي حِراكاً، ولكنهم أخطأوا في تقديراتهم؛ فالشاعر لن ينسى عشيرته مهما حدث.

(٢)، (٣) إنه لن ينسى أفضال سادات عشيرته؛ فهو في كنفهم ربي وقوي عوده وتغذّى بلبان فضائلهم. لذا ففي حال اعتداء عليهم سرعان ما يلبّي عنترة النداء.

(٤) بسيف بتّار يُؤذن بالموت الرّهيب ورمح رأسه يحمل الموت المؤكّد.

خُـلِـقْـتُ مِـنَ الـحَـديـدِ أشَـدَّ قَـلْـبـاً،
وَقَـدْ بَـلـيَ الـحَـدِيـدُ وَمَـا بَـلـيـتُ[١]
وَإنـــي قَـــدْ شَـــرِبْـــتُ دَمَ الأعـــادي
بـــأقْـــحَـــافِ الـــرّؤوسِ وَمَـــا رَوِيـــتُ[٢]
وَفـي الـحَـرْبِ الـعَـوَانِ وُلِـدْتُ طـفْـلاً
وَمِـنْ لَـبَـنِ الـمَـعَـامِـعِ قـد سُـقـيـتُ[٣]
فَـمَـا لـلـرُّمْـحِ فـي جـسْـمـي نَـصِـيـبٌ؛
وَلا لـلـسّـيْـفِ فـي أعْـضَـايَ قُـوتُ[٤]
وَلـي بَـيْـتٌ عَـلا فَـلَـكَ الـثُّـرَيّـا،
تَـخِـرُّ لِـعُـظْـمِ هَـيْـبَـتِـهِ الـبُـيُـوتُ[٥]

---

(١) يفخر الشاعر بنفسه وعزمه، فهو من نوع فريد، حتى الحديد يلين ولكن قلبه لا يلين، وقد فني الحديد لطول ما عاصر من مآسٍ أما الشاعر فإنه باقٍ رغم المحن والويلات.

(٢)، (٣) إن عنترة دائم عطشه للدماء لا يرتوي من دماء أعاديه بل إنه يشرب بقحاف رؤوسهم ويشرب باستمرار. ذلك أنه ولد وفتّح عينيه والحرب قائمة على ساقٍ ولا تزال مما اضطرّه إلى خوض الحروب قبل الرضاع فسقي ممّا يسيل من الدماء.

(٤) يفخر الشاعر أن جسده لم تشوّهه الرماح، فلا نصيب لها فيه لقدرته الفائقة على الدفاع عن نفسه، حتى السيف لم يُفلح بانتزاع فتات من جسمه، فبقي سليماً معافى رغم حسن بلائه في الحروب.

(٥) ويفخر الشاعر كذلك بانتمائه إلى بيت رفيع المجد، حتى أدرك السماء فعانق الثريا، فإذا ما قورن بغيره من البيوت فإنها لن تطاوله لذا فهي تخرّ اعترافاً بسموه وعظمته.